

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهم - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((انطلق ثلاثة نفر من كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار؛

فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله - تعالى - بصالح أعمالكم.

قال رجل منهم: اللهم كأن لي أبوان شيخان كبيران، و كنت لا أغrieve قبلها أهلا ولا مala. فنأى بي طلب الشجر يوماً، فلم أرّح عليهما حتى ناما، فدخلت لهم غبّوهما، فوجدهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغrieve قبلها أهلا أو مala، فلبت - والقدح على يدي - أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر - والصبية يتضاغون عند قدمي - فاستيقظا، فشرّا غبّوهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففَرِجْ عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر: اللهم إن كانت لي ابنة عم، كانت أحب الناس إلي - وفي رواية: ((كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء)) - فأردتها على نفسها، فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار؛ على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها - وفي رواية: ((فلما قعدت بين رجليها)) - قالت: اتق الله، ولا تغض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وترك الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراً وأعطيتهم أجراً، غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجراه حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: ((يا عبد الله أذ إلي أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك : من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي ! فقلت: لا أستهزئ بك فأخذته كله، فاستاقة، فلم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون)). متفق عليه



الشرح

قوله: ((انطلق ثلاثة نفر)) أي: ثلاثة رجال.

((آواهم المبيت فدخلوا في غار)) يعني : ليبيتوا فيه والغار: هو ما يكون في الجبل مما يدخله الناس يبيتون فيه، أو يتطلّلون فيه عن الشمس، وما أشبه ذلك. فهم دخلوا حين آواهم المبيت إلى هذا الغار، فتدحرجت عليهم صخرة من الجبل حتى سدت عليهم باب الغار، ولم يستطيعوا أن يزحزحوها؛ لأنها صخرة كبيرة. فرأوا أن يتولّوا إلى الله - سبحانه وتعالى - بصالح أعمالهم.

فذكر أحدهم بره التام بوالديه، وذكر الثاني عفتة التامة، وذكر الثالث ورَعَه وتصحه.

أما الأول: يقول إنه كان له أبوان شيخان كبيران ((وكنت لا أغrieve قبلهما أهلاً ولا مالاً)) الأهل: مثل الزوجة والأولاد ، والمال : مثل الأرقاء وشبهه.

وكان له غنم، فكان يسرح فيها ثم يرجع في آخر النهار، ويحلب الغنم، ويعطي أبيه - الشixin الكبيرين - ثم يعطي بقية أهله وماله.

يقول : ((فنأى به طلب الشجر ذات يوم)) أي: أبعد بي طلب الشجر الذي يرعاه. فرجع ، فوجد أبيه قد ناما، فنظر ، هل يسقي أهله وما له قبل أبيه، أو ينتظر حتى يستيقظ الآبوان ، فرَجَحَ الثاني ، يعني أنه بقي ، فأمسك الإناء بيده حتى برق الفجر؛ أي حتى طلع الفجر - وهو ينتظر استيقاظ أبيه -، فلما استيقظا وشرّا اللبن أنسى أهله وماله.

قال: ((اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففَرِجْ عنا ما نحن فيه)) ومعناه : اللهم إن كنت مخلصاً في عملي هذا - فعلته من أجلك - فافرج عنا ما نحن فيه.

وفي هذا دليل على الإخلاص لله - عز وجل - في العمل، وأن الإخلاص عليه مدار كبير في قبول العمل، فتقبل الله منه هذه الوسيلة وإنفرجت الصخرة؛ لكن انفراجاً لا يستطيعون الخروج منه.

أما الثاني: فتوسل إلى الله عز وجل - بالعفة التامة؛ وذلك أنه كان له ابنة عم، وكان يحبها حباً شديداً كأشد ما يحب الرجال النساء (**فأرادها على نفسها**) أي أرادها - والعياذ بالله - بالزناء؛ لينزني بها، ولكنها لم تتوافق وأبنته، فألمت بها سنة من السنين، أي: أصحابها فقر وحاجة، فاضطررت إلى أن أجدها بنفسها في الزنا من أجل الضرورة، وهذا لا يجوز، ولكن على كل حال؛ هذا الذي حصل، فجاءت إليه، فأعطتها مائة وعشرين ديناراً، من أجل أن تمكّنه من نفسها، ففعلت من أجل الحاجة والضرورة، فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته على أنه يريد أن يفعل بها، قالت له هذه الكلمة العجيبة العظيمة: ((اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه.))

فخوفه بالله - عز وجل - وأشارت إليه إلى أنه إن أراد هذا بالحق فلا مانع عندها، لكن كونه يفض الخاتم بغير حق، هي لا تريده، ترى أن هذا من المعاصي؛ ولهذا قالت له: اتق الله، فلما قالت له هذه الكلمة - التي خرجت من أعماق قلبها - دخلت في أعماق قلبه، وقام عنها وهي أحب الناس عليه، يعني ما زالت رغبته عنها، ولا كرهها، بل حبها باق في قلبه، لكن أدركه خوف الله - عز وجل - فقام عنها وهي أحب الناس إليه، وترك لها الذهب الذي أعطاها - مائة وعشرين ديناراً، ثم قال: ((اللهم إن كنت فعلت هذا لأجلك فافرج عنا ما نحن فيه، فإنفرجت الصخرة، إلا أنهم لا يستطيعون الخروج)) وهذا من آيات الله؛ لأن الله على كل شيء قادر، لو شاء الله تعالى لأنفرجت عنهم بأول مرة. ولكنـهـ سبحانـهـ وتعـالـىـ أرادـ أنـ يـقـيـ هـذـهـ الصـخـرـةـ حتـىـ يـتـمـ لـكـ وـاحـدـ مـنـهـ مـاـ أـرـادـ أـنـ يـتوـسـلـ بـهـ مـنـ صـالـحـ الأـعـمـالـ.

وأما الثالث: فتوسل إلى الله - سبحانـهـ وتعـالـىـ بالأمانة والإصلاح والإخلاص في العمل ، فإنه يذكر أنه استأجر أجرا على عمل من الأعمال؛ فأعطاهـمـ أجـورـهـ، إلا رجـلاـ واحدـاـ تركـ أـجـورـهـ فـلـمـ يـأـخـذـهـ . فـقاـمـ هـذـاـ المـسـتـأـجـرـ فـثـمـ المـالـ، فـصـارـ يـتـكـبـ بـهـ بـالـبـيـعـ وـالـشـرـاءـ وـغـيـرـ ذـلـكـ، حتـىـ نـمـاـ وـصـارـ مـنـهـ إـبـلـ وـيـقـرـ وـغـنـمـ وـرـقـيقـ وـأـمـوـالـ عـظـيمـةـ.

فـجاـءـهـ بـعـدـ حـيـنـ، فـقاـلـ لـهـ: يا عـبـدـ اللهـ أـعـطـنـيـ أـجـرـيـ . فـقاـلـ لـهـ: كـلـ مـاـ تـرـىـ فـهـوـ لـكـ؛ مـنـ الـإـبـلـ وـالـبـقـرـ وـالـغـنـمـ وـالـرـقـيقـ . فـقاـلـ: لـاـ تـسـتـهـزـيـ بـيـ، كـيـفـ لـيـ كـلـ مـاـ أـرـىـ مـنـ الـإـبـلـ وـالـبـقـرـ وـالـغـنـمـ وـالـرـقـيقـ؟ لـاـ تـسـتـهـزـيـ بـيـ . فـقلـتـ: هـوـ لـكـ، فـأـخـذـهـ وـاسـتـاقـهـ كـلـهـ وـلـمـ يـتـرـكـ لـهـ شـيـئـاـ.

اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه، فإنفرجت الصخرة، وانفتح الباب، فخرجوا يمشون

كاتب المقالة : صحيح البخاري

تاريخ النشر : 10/09/2011

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفدر

رابط الموقع : www.mohammdfarag.com